هل انتصر الباطل السعودي؟

«الدولار السعودي كسب الجولة»..

كان هذا هو تعليق أحد الصحافيين الإماراتيين، الذين حجّوا هذا العام، وأحد المشاهدين عن قرب لأحداث مجزرة مكة.

فهل صحيح أن الإعلام السعودي، والتحالفات السعودية الخارجية، انتصرت على مظلومية الحجاج الشهداء وحقهم؟

قد يبدو الجواب صعباً ومبكراً في هذا الوقت.. فالحدث لا يزال ساخناً أيّما سخونة، وذيوله السياسية لم تنته ولن تنتهي عمّا قريب.. بل أن نتائج الحدث لن تتحدد معالمها خلال الفترة الوجيزة القادمة، والتي تحمل في رحمها الكثير من المفاجآت.

لكننا يمكن الاستشراف من بُعد على واقع الحادث، واسترجاع بعض الفصول القديمة منه، والتي هي أساس حاضر ما جرى..

التعبئة الإعلامية:

«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم».. هذه الآية لا تبارح مخيلة من تابع ويتابع تفاصيل الحادث من أجهزة الإعلام العربية والأجنبية بشتى أشكالها وأسمائها..

فالثورة في إيران ومنذ اليوم الأول لانتصارها، كانت نموذجاً فريداً من نوعه، سواء من حيث النظام الذي اختارته جماهيرها، أو من حيث أهداف الثورة على الصعيدين الخارجي والداخلي..

وإيران حتى الآن - وبغض النظر عن تفاصيل المسائل الجزئية - تعتبر خارجة عن إطار التحالفات الكبرى، وغريبة على المجتمع الدولي، الذي لم ولن يهضم شعاراتها، أو حتى يقبل بها كواقع فريد متميز قادر على الاستقطاب، ليس على صعيد الدول وإنما على صعيد الشعوب.

إنها ثورة خارج اللعبة السياسية بأكملها، وهي وإن دخلت فيها بين الحين والآخر، فإنها تخرج في أغلب الأحيان خاسرة، لسبب بسيط وواضح وهو أنها لا تجيد فن اللعب ولا تستطيع أن تجمع بين أصول وقوانين اللعبة مع أهدافها الاستراتيجية.

من جهتها حاولت الدول العظمى استقطابها ولكن المحاولات باءت بالفشل أكثر من مرة، ولعل تجربتي «تصفية حزب تودة» و «نهاية فضيحة إيران غيت» خلاصة هذا الموضوع.

وقد ثبت بالدليل القطعي والواضح لكل العالم - الذي لا يخفي عادة مثل هذه الامور - أن إيران بوضعها الحالي والسابق غير مقبولة، وخطيرة، ولا مصلحة لأي من الدول العظمى والمرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً أن تستمر هذه الثورة دون تطويع، لأن عدواها اخترق أوروبا والعالم الإسلامي باجمعه، بل واعماق إفريقيا، وحتى الدول الاشتراكية والشيوعية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي.

من هنا قد يبدو بديهياً فهم لماذا يقف الإعلام العالمي باجمعه، والعربي منه على وجه الخصوص ضد إيران منذ انتصارها وحتى اليوم.

فالإعلام يتبع القوة وسلطان المال..

وحين جاءت أحداث مكة، وجدنا الصوت الإيراني غائباً عن الحادث.. لقد جاء آل سعود ليتوجوا حملة ثمان سنوات من الإعلام المضاد لإيران والذي عُبّئت به الشعوب العربية والإسلامية، بل كل شعوب العالم ضد الثورة.

آل سعود لم يصنعوا التعبئة الجديدة وحدهم، بل اضافوا إليها فتراكمت إلى أن بلغت الذروة بُعيد الحادث الدموي الأليم.

سنوات طويلة والإعلام العربي والعالمي يتحدث ضد إيران.. فلا تجد صحيفة ولا مجلة ولا إذاعة أو تلفاز، إلّا وإيران والحديث ضدها هو الموضوع.

إذن هناك إعلام عالمي لا يحتاج آل سعود إلى تغذيته، فهو مغذّى وصار يسير في طريقه بشكل ميكانيكي منذ زمن طويل ضد الثورة واهدافها.. أما الإعلام العربي فهو في مجمله ذيل للأنظمة وملكاً لها..

فكيف تستطيع إيران أن تشق طريقها لتوصل صوتها إلى العالم، وهي لا تملك من وسائله إلّا الصفر على الشمال؟!

كان من الطبيعي أن إيران وفي أية مواجهة إعلامية مع السعودية ستخسر

المعركة، لا لأن هناك قصوراً إيرانياً يعلم الجميع حجمه، ولا لأن التقصير الإيراني محددة معالمه ليس هذا فحسب، بل الأهم من ذلك أن السعودية تحارب إيران بإعلام كل العالم..

صحيح ان الثورة تدفع الآن وغداً من سمعتها ثمناً لشعاراتها الاستراتيجية ومواقفها التي لا ترضى عنها اجهزة الإلحاد العالمية.. وصحيح ايضاً أن إيران لا تستطيع ان تماشي آل سعود في شراء الصحف والمجلات الامر الذي كان يقوم به الشاه نفسه.. لكن الأهم من كل هذا ان إيران لم تبذل جهداً يذكر في هذا المجال.. والشيء بالشيء يذكر، ان جلال كشك كتب كثيراً في مجلة الحوادث على عهد سليم اللوزي مؤيداً الثورة قبل انتصارها وبعده بقليل، وحاول ان يحصل على شيء من المال لكنه فشل، وكتب مقالاً ذات مرة تحت عنوان: (آية الله دولاراتي) ملمحاً إلى ان من يريد الأنصار والاعوان عليه بالدفع، ولكنه انى لمثل هذا الصوت أن يسمع والثورة لم تستقر بعد..

والنتيجة، دفع له آل سعود الدولارات المطلوبة، فكتب عن الوهابيين مكفراً عن «جرمه»، ثم كتب لال سعود كتابه «السعوديون والحل الإسلامي».

التعبئة المحلية والإسلامية:

وكما يصدق القول حول تاثير الإعلام المضاد على شعوب العالم، فإنه اثر بشكل بالغ على العالم الإسلامي.. واتخذت الحملة المضادة شكلين، الاول: طابع الحملة السياسية، والثاني: التركيز على شيعية الثورة، وتسفيه افكار الشيعة، لايجاد حاجز بينها وبين الشعوب الإسلامية. وكان هذا الشكل الثاني، اخطر بكثير من أوله..

وفي هذا المجال تحركت المؤسسات الدينية السعودية ونشطت، وتحولت مكاتب رابطة العالم الإسلامية لمحاربة التشيع وليس التنصير المسيحي.. ومولّت السعودية مئات من الكتب الطائفية، ووزعتها بعشرات الالوف في كل مكان في العالم.. وبالخصوص كتب «إحسان اللهي ظهير» وكتب «محمد مال الله» وكتاب «وجاء دور المجوس» وغيرها..

وصار الشغل الشاغل لكل بعثات المؤسسات الدينية السعودية العزف على الوتر الطائفي سواء داخل البلاد أو خارجها..

وبالفعل حين جاءت احداث مكة.. حصل آل سعود على نصيب الاسد من التابيد الرسمي لان: «من جدّ وجد، ومن زرع حصد»، سواء كان الزارع او الزرع نفسه خبيثاً فاسداً نكراً..

ولا يشك هنا ان التعبئة السعودية تعدّت إطار مناطحة الفكرة بالفكرة، بل وصل الامر إلى تحوير الاحداث السياسية إلى قضية صراع بين الشيعة والسنّة، تماماً مثلما حدث في حرب المخيمات. فالعزف هو على وتر «الشيعة يذبحون السنّة» هكذا! والحرب بين العراق وإيران هي ايضاً كذلك، رغم ان من يسقط من الطرفين هم في معظمهم من الشيعة!

وقد آتت هذه الدعاية المكثفة على مدار ثمان سنوات اكلها المرّة إبّان احداث مكة.. ودابت اجهزة الدعاية السعودية والموالية لها على تصوير المواجهة التي تمت بانها كانت بين الشيعة والسنة وهذا ما تنضح به كل البيانات الحكومية.

وليس شيئاً جديداً في العقلية السعودية الحاكمة، إنها اختارت هذا الاسلوب، فهي لا يهمها امر ٣٠٠ مليون شيعي، وإنما الـ ٧٠٠ مليون سنّي، تتحصن بهم في المواجهة وتستثير ما لديهم من عاطفة للدين في غير موقعها.

بل إن تحريك قوات القمع لتصفية المتظاهرين بالرصاص، كان انطلاقاً من النظرة الطائفية.. فعشرات من المشايخ ـ مشايخ الوهابية ـ كانوا يحثون الجنود: (اقتلوا الشيعة كلّهم.. اقتلوا الرافضة)..

أحد الحجاج من البلاد كان معنا شارك في التظاهرة، وكان ضريراً اعمى، وحين وقعت الواقعة، وجد من يساعده من الجنود إلى إحدى العمارات المجاورة محافظة على روحه من القتل، وعند الساعة الثانية عشرة ليلاً خرج مع رفيقه الذي يقوده، وسأل احد الجنود من قوات الطوارئ: هل بإمكاني الخروج إلى منزلي؟..

أجابه الجندي: نعم، انت مسلم، لا تخاف!، نحن مشكلتنا مع الكفرة الإيرانيين!

وحاج آخر، صوّر الشحن الطائفي ومقداره لدى الناس، بانه لو حدث حريق او عطلت السيارة، او حتى زحام بين الناس، او غلاء في الأسعار، لكان الإيرانيين هم السبب بنظرهم..

والخلاصة.. فإن الجو المشبع بالطائفية المذهبية او السياسية ضد إيران في كل أنحاء العالم الإسلامي، هو المركب الرابح الذي تسلقه ـ بعد ان شارك في صنعه ـ الإعلام السعودي ليرفع شارات النصر الأولى.

على أن من المهم التذكير، بان للباطل جولة وللحق دولة، وإن عملاً استراتيجياً مدروساً من قبل الثورة في إيران، قد يكون قادراً خلال سنوات قادمة على قلب الطاولة على رؤوس آل سعود..

فهؤلاء يعرف السنّي قبل الشيعي عهرهم وانحلالهم، وتبعيتهم للأجنبي..

وهؤلاء ايضاً لا يستندون على قاعدة دينية صلبة، فالعالم الإسلام بأجمعه هو ضد افكارهم وتخريفاتهم، سواء في الهند او الباكستان او تركيا او شمال إفريقيا ومصر واندونيسيا وغيرها..

الذي يحتاجه المسؤولون في إيران، شيء من التخطيط، يكون على الأقل بمستوى تخطيط آل سعود انفسهم، وحينها يزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.